شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ

الدرس الأول

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ أما بعد...

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

بداية أحمد الله تبارك وتعالى على ما منَّ به علينا من إنهاء المستويات الأربعة المقررة في معهد الدين القيم للتأصيل العلمي؛ هذا خير وفضل كبير علينا؛ فأسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل منّا، وأن ينفعني وإياكم بما تعلمنا، وأن يزيدنا علمًا، وأن يجعل هذا العلم حجة لنا عنده، وأن يجعله حجابًا لنا عن النار، وأن يُدخلنا به جنات النعيم، وأن يزيدنا منه، وأن ينفعنا به وينفع به عباده.

إخواني الطلبة وأبنائي...

من المفروض الآن أن تكونوا قد أنهيتم المستويات الأربعة، ومن أنهى هذه المستويات وفَهِمَها واستوعبها بشكل جيد وتجاوزها بإتقان؛ يكون من طلبة العلم المتقدمين الذين قطعوا شَوطًا عظيمًا في طلب العلم؛ فيجب أن تعتنوا بأنفسكم وأن تحرصوا على الاستزادة، وأن

تخلصوا عملكم لله سبحانه وتعالى، وأن تحرصوا أيضًا على أن تكونوا مفاتيح خيرٍ مغاليق شر، وأن تكونوا دُعاة هدى وأن ينفع الله سبحانه وتعالى بكم دينه.

واحذروا من الكسل والخمول والانشغال بالدنيا وملذاتها، اصبروا على الفقر، اصبروا على قلَّة ذات اليد، اصبروا على ما ينالكم من صعوبة في هذه الدنيا حتى يفتح الله تبارك وتعالى عليكم؛ فأنتم تحملون أمانة عظيمة؛ تحملون ما حمله الأنبياء من تبليغ هذه الرسالة؛ فأنتم إن شاء الله تكونون من ورثة الأنبياء الذين ورثوا العلم كي يبلغوه لعباد الله؛ فلا تستهينوا بما معكم ولا تستخفوا بأنفسكم، وأكثروا من التضرع إلى الله تبارك وتعالى بأن يجعلكم أئمة في هذا الدين؛ أئمة هدى، أئمة صلاح، أئمة تقوى، وأن يتقبلنا جميعًا من عباده الصالحين.

الآن أنتم طلبة علم تستطيعون أن تفهموا كلام أهل العلم، وأن تعرفوا منهج السلف الصالح رضي الله عنهم؛ فقد عرفتم الكتب وعرفتم كيف تبحثون فيها، وعرفتم كيف تفهمون كلام أهل العلم؛ لذلك سنشرح هذا الكتاب الذي بين أيدينا- وهو كتاب "العقيدة الطحاوية"- شرحًا يتناسب مع هذا المستوى.

غايتنا من هذا الشرح بيان المسائل العلمية العَقَدِيَّةِ التي طُرِحَت في هذا الكتاب، ومعرفة الحق من الباطل، ومعرفة ما الذي كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم، وما الذي يخالف عقيدة السلف الصالح رضي الله عنهم، ومعرفة الحق في كل مسألة تُطرح في هذا الباب، وما القول المخالف له والذي يجب الحذر منه.

يهمنا في هذا الشرح أن نُبيِّن المسألة ونُبيِّن دليلها، وأن نُبيِّن ما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم فيها، وإذا وُجِدَت شُبهة يتعلق بها أهل الباطل من كتاب أو سنة- من آية

مُتشابهة أو سنة مُتشابهة تعلقوا بها-؛ نُفنِّد هذه الشبهة بما قاله أهل العلم من أهل السنة والجماعة.

أما مسألة الردود بالكلام والعقل وما شابه؛ فهذا لن نشغل أنفسنا به؛ فالحجة تقوم على العباد بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ وببيان ما كان عليه السلف الصالح، وإزالة الشبهة التي تتعلق بالكتاب والسنة وينتهي الأمر، وإذا أراد الشخص المجادلات بالطرق العقلية؛ يجد لها مصدرها والله أعلم، لكن نحن سنمشي على الطريقة التي ذكرنا لكم؛ فسنطرح المسائل بطريقة علمية تتناسب مع مستواكم، ونسأل الله القبول لنا ولكم.

العقيدة الطحاوية

العقيدة: مأخوذة من العَقْد؛ وهو ربط الشيء كقولك: (عَقَدْتُ الحبلَ؛ أي ربطته)، واعتقدت كذا؛ أي: عَقَدْتُ عليه قلبي؛ فالعقيدة ما يؤمن به الإنسان إيمانًا جازمًا ويَعقِد قلبه عليه؛ فالعقيدة إيمان القلب بالشيء وتصديقه الجازم به.

وعرَّفها بعض أهل العلم بأنها: حكم الذهن الجازم؛ فهي ما يَنْعَقِدُ عليه القلب ويؤمن به جازمًا به، لا يتطرق لهذا الشيء شك عنده.

والشريعة تنقسم إلى قسمين: عقائد وأعمال؛ العقائد هي إيمان القلب وعمله، والأعمال أعمال الجوارح؛ كالصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك، وكلاهما متلازمان؛ إيمان الباطن وإيمان الظاهر متلازمان؛ زيادة ونقصانًا ووجودًا وعدمًا، ولكن أعمال الجوارح تَبَعٌ لإيمان القلب؛ لذلك يُسمي بعض أهل العلم الاعتقادات: أصولًا، ويُسمي أعمال الجوارح فروعًا؛ لأنها تُبنى عليها.

قال النبي ﷺ "إِلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ" متفق عليه، وقد قال غير واحد من السلف وأئمة السنة: (القلب ملك والأعضاء جنوده).

وهذه؛ أي: الاعتقاد والأعمال مع القول: هي الإيمان.

وينبني على صحة العقيدة وفسادها: جنة ونار؛ خلود في جهنم أو خلود في الجنة، عذاب في النار أو نجاة من النار؛ هذه العقيدة، وأول ما يُسأل العبد في قبره يُسألُ عن عقيدته؛ فيقال له: من ربك؟ وما دينك؟ وماذا تقول في هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فهذا هو الأصل وأول ما يُسأل عنه العبد، ثم بعد ذلك إما عذاب أو نعيم.

وأعمال الجوارح أيضًا من الإيمان، وينبني عليها كذلك جنة ونار؛ لكن موضوعنا الآن في العقائد.

الطحاوية نسبة إلى مؤلفها وهو الطحاوي؛ وهو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي، نسبة إلى طَحا قرية في صعيد مصر، وُلِدَ سنة تسع وثلاثين ومئتين، وتوفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمئة وهو من علماء القرن الرابع.

من كتبه: شرح معاني الآثار، ومشكل الآثار، وهذه العقيدة، وله كتب أخرى، وهو فقيه ومحدث، حنفي المذهب، قالوا كان شافعيًا ثم تحول إلى المذهب الحنفي.

من شيوخه: يونس بن عبد الأعلى، ومحمد بن عبدالله بن عبد الحَكَم، والربيع بن سليمان المرادي.

ومن تلاميذه: أبو القاسم الطبراني، وأبو بكر بن المُقرئ.

عقيدة المؤلف: هي هذه التي بين أيدينا، كان المؤلف على عقيدة المرجئة؛ مرجئة الفقهاء كحال الكثير من الأحناف تبعًا لإمامهم رحمه الله، وقد بيَّن المؤلف أنه كتبَ هذه العقيدة بناء على عقيدة رؤوس المذهب الحنفي كما سيأتي إن شاء الله.

هذه العقيدة أُخِذَ عليها أمران؛ الأول: تقرير عقيدة المرجئة وسيأتي الحديث عن هذا إن شاء الله في موضعه.

والأمر الثاني: استعمال بعض الألفاظ المجملة ونفيه لها مطلقًا دون تفصيل كما سيأتي إن شاء الله في الكلام عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات..... الخ.

وأخذوا عليه أيضًا: عدم ترتيب مباحثها؛ حيث إنه فرقها في مواضع.

المهم عندنا المآخذ العقدية؛ أما مسألة التأليف فسهلة إن شاء الله.

وهذه العقيدة اشتهرت بين أهل السنة وشرحها كثير من أهل السنة، وأيضًا يوجد من أهل البدع من يشرح هذه العقيدة على طريقته.

من أنفس الكتب التي شرحت هذه العقيدة: شرح ابن أبي العز الحنفي؛ شرحها شرحًا سلفيًا واسعًا، وكان يأخذ غالبًا من كتب ابن تيمية وابن القيم رحمهم الله، وشرحها جمع من علماء السنة، وعلق عليها آخرون؛ منهم كما ذكرنا: ابن أبي العز الحنفي، ومنهم ابن باز، والألباني، والشيخ محمد بن أمان الجامي، والفوزان- رحم الله الجميع-، وغيرهم كثير من أهل العلم شرحوا هذا الكتاب.

وهو كتاب منتشر بين أيدي أهل السنة، ولشهرته ونُصْحِ بعض العلماء طلبة العلم به؛ قررناه وشرحناه، وكي نبين أيضًا ما فيه من مآخذ حتى يكون طالب العلم على بيِّنة، وإن كان- بفضل الله- قد بيَّنها أو أشار إليها بعض علماء السنة، وحذروا مما فيها من أخطاء.

قال الطحاوي رحمه الله **(هذا ذِكْرُ بَيانِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةَ والجَمَاعَةِ)**

هذا إن كان قد كتب هذه العقيدة قبل أن يكتب المقدمة؛ تكون هذه الإشارة عائدة على العقيدة التي بين يديه مكتوبة، وإن لم تكن مكتوبة تكون هذه إشارة لما في ذهنه وما سيضعه.

قوله: **(هذا)** أي: المعتقد الذي سيذكره **(ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة)** العقيدة تقدم تعريفها

(أهل السنة) هم الذين يتمسكون بالكتاب والسنة اعتقادًا وقولًا وعملًا، ويتبعون منهج السلف الصالح رضي الله عنهم، يتبعون النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم، وبحمد الله السلف الصالح كانوا متفقين على عقيدة واحدة؛ هي هذه العقيدة؛ عقيدة أهل السنة والجماعة التي سيأتي بيانها.

والسنة تطلق عند أهل العلم على معانٍ؛ منها: ما جاء عن النبي ﷺ من قول أو عمل أو تقرير، ومنها الشريعة كلها؛ فتشمل الكتاب والسنة، ومنها ما يُضاد البدعة؛ لذلك نجد السلف يطلقون على كتب الاعتقاد: السنة أو أصول السنة؛ فتجد أهل السنة يقولون عن كتب الاعتقاد: هذا كتاب السنة؛ أصول السنة، صريح السنة، الشريعة، الإيمان؛ هكذا يطلق علماء السلف رضي الله عنهم الكلام في تسمية العقيدة.

وأما **(الجماعة)** فسموا بـ: (أهل السنة والجماعة)؛ لأنهم يتمسكون بالسنة ويجتمعون عليها- أي: أهل الاجتماع-، ولا يفترقون؛ لأنهم يتبعون ما جاء في الكتاب والسنة وما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة ومن اتبعهم بإحسان.

والاتباع يمنع الافتراق والاختلاف؛ فعقيدة السلف مقررة مبسوطة واضحة، فإذا اتَّبع الشخص؛ أخذ وسلَّم، بينما إذا أعمل عقله؛ شطح بعقله يمنة ويسرة، فالآراء تختلف والعقول تضطرب، ولا يلزم أن تجتمع كما نرى، فلذلك من اتخذوا عقولهم أصولًا وجعلوها طريقًا توصلهم إلى العقائد؛ تفرقوا وتمزقوا وتقاتلوا وتناحروا بسبب هذا؛ لأن الآراء تختلف، والعقول لا تجتمع، بينما الاتباع؛ يجمع أهله على الحق؛ فهم أهل سنة وجماعة.

فإذن كل من يُسمي نفسه من أهل السنة والجماعة؛ نعرضه على حقيقة الاسم؛ هل هو متبع لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ وما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم أم لا؟ هل هو مجتمع مع أهل الحق على هذه العقيدة أم لا؟ وبهذا يظهر الصادق من الكاذب.

ولأهل السنة والجماعة تسميات أخرى؛ منها: أهل الحديث، والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، والسلفيون؛ كلها أسماء لجماعة واحدة؛ وهم الذين اجتمعوا على عقيدة أهل السنة والجماعة واتبعوا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم؛ فالمؤلف رحمه الله يريد أن يذكر عقيدة أهل السنة والجماعة.

قال: **(على مَذْهَبِ فُقَهاءِ المِلَّةِ: أبي حَنيفَةَ النُّعْمانِ بنِ ثابتٍ الكوفي، وأبي يوسُفَ يَعقوبَ بنِ إبراهيمَ الأنصاريِّ، وأبي عبدِ الله محمدِ بنِ الحسَنِ الشَّيبانيِّ رضوان الله عليهم أجمعين، وما يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَيَدِينُونَ بِهِ رَبَّ العالمين)**

قوله: **(على مذهب فقهاء الملة)** الفقيه: هو العالم بالشريعة؛ إما بالشريعة كلها، أو بالأحكام العملية خاصة؛ الذي يسمى اليوم بالفقه، و**(الملة)** هي الدين؛ والمراد: فقهاء الدين الإسلامي.

ثم بيَّن من هم هؤلاء- فقهاء الدين الإسلامي- الذين يريدهم، وهذه عقيدة من؛ فقال: **(أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي)** هذا الأول، **(وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني)**؛ هؤلاء الثلاثة هم الذين عناهم.

إذن الطحاوي رحمه الله يريد أن يذكر لنا في هذه العقيدة عقيدة هؤلاء الثلاثة والتي يتبناها هو أيضًا.

من هم هؤلاء الثلاثة؟ وما هي عقيدتهم؟

أما أبو حنيفة؛ فهو إمام المذهب الحنفي، اسمه: النعمان بن ثابت بن زوطة الكوفي، مولى بني تيِّم الله، يُقال بأن أصله من كابل، وقيل غير ذلك، ولد سنة ثمانين هجرية وتوفي سنة مئة وخمسين هجرية، روى عن كبار التابعين، ويقال بأنه رأى أنس بن مالك، فلم يروِ عن أحد من الصحابة؛ روايته عن كبار التابعين، وروى عنه جمع، وأثنى عليه جمع من العلماء.

وقد أخذ بعض علماء السلف على أبي حنيفة أشياء، هنا من أجل بيان عقيدة أبي حنيفة رحمه الله، ولسنا في موضع جرح ولا تعديل؛ إنما في بيان العقيدة التي كان عليها أبو حنيفة، في بيان ماذا كان يعتقد حتى نعلم.

المؤلف هنا يقول أن هذه العقيدة التي قررها في الطحاوية هي عقيدة أبي حنيفة، والعقيدة التي قررها هنا أُخذ عليها ما ذكرنا بداية؛ فالمؤلف يقرر عقيدة الإرجاء في هذه العقيدة، إذن

هو يثبت على هؤلاء الثلاثة أنهم على عقيدة الإرجاء، كما مشى هو أيضًا على هذا، هذه إحدى المآخذ التي أخذت على أبي حنيفة كما سيأتي إن شاء الله.

ويوجد أشياء أخرى لا يُقِرُّها المؤلف؛ منها- مثلًا-: قال علماء السلف أن أبا حنيفة أُستُتيب من الكفر مرتين أو ثلاث مرات، ويعنون بذلك أنه كان يقول القرآن مخلوق ونقلوا عنه هذا، وذكروا أنه قال القرآن مخلوق، وذكر الإمام أحمد وغيره أنه كان جهميًّا- هذا الكلام في أبي حنيفة رحمه الله-، وأقوال السلف كثيرة، حتى نقل بعضهم الإجماع على ذلك؛ أن أبا حنيفة كان جهميًّا.

من كلام المؤلف هنا في الطحاوية أنه لا يُقِر بهذا، ولا يُثبت على أبي حنيفة أنه كان جهميًّا، ودافع عنه بعض أهل العلم وقالوا لم يكن جهميًّا، ونقلوا عنه أنه لم يقل بأنّ القرآن مخلوق، هذا موجود أيضًا؛ نذكر ما قيل هنا وما قيل هنا.

ربما تقول: أنّ له أكثر من قول في المسألة مرة قال هكذا ومرة قال هذا؛ هذا ممكن.

وعلام مات؟

قال تلميذه أبو يوسف- وهذان اللذان ذكرهما المؤلف مع أبي حنيفة تلميذا أبي حنيفة؛ أخص تلاميذ أبي حنيفة، وهما مجتهدان في الفقه، ولهما آراء فقهية معتمدة في المذهب عند الأحناف- نقل أبو يوسف عن أبي حنيفة أنه مات جهميًّا.

أنت كطالب علم ما موقفك ناحية هذا؟

طبعًا إذا أردت أن ترجع؛ ترجع لكتاب عبدالله بن الإمام أحمد "السنة"، تكلم عن هذه المسائل، وذكرها هناك ونقل عن أئمة السلف رضي الله عنهم هذا الكلام.

الخطيب البغدادي في ترجمة أبي حنيفة في تاريخ بغداد ذكر هذا الكلام أيضًا بأسانيده، وكذلك ابن أبي شيبة عقد كتابًا في آخر مصنفه عن أبي حنيفة، ولشيخنا الوادعي رحمه الله كتاب: "نشر الصحيفة فيما صحَّ من الكلام في أبي حنيفة".

ما موقفي أنا كطالب علم؟

أنا طالب علم أريد أن أصل إلى الصواب، إلى الحق، هل كان أبو حنيفة فعلًا جهميًّا؟ أم كان على عقيدة أهل السنة والجماعة على الأقل في الأسماء والصفات؟ كلامنا الآن هنا، المؤلف لا يُثبت أنه كان جهميًّا، وحتى مسألة خلق القرآن هنا يذكرها ويُقررها على عقيدة أهل السنة والجماعة وليس على عقيدة الجهميَّة، ما الذي مات عليه أبو حنيفة؟ وهل فعلًا أُستُتيب من الكفر مرتين أو ثلاثة؟ وهل فعلًا كان يقول بقول الجهمية أم لا؟

أنت كطالب علم مرادك هو الوصول إلى الحق في هذه المسألة؛ فتذهب إلى الكتب التي ذكرت هذه الأقوال بالأسانيد، وتنظر هل ذُكرت هذه المسائل بأسانيد صحيحة عنه، هل ثبت عنه بأسانيد صحيحة أنه يقول القرآن مخلوق؟ وهل مات على ذلك أم تاب منه أم لا؟ هذا الذي يهمك الآن.

ما الذي نريده ويهمنا في كل هذا؟

نريد أن نعرف هل أبو حنيفة كان على عقيدة أهل السنة أم لا؟ من أجل أن نعرف هل نستطيع أن نستأنس بأقواله كما نستأنس بأقوال أئمة السلف في مسائل العقيدة أم لا؟

يعني الآن كثير من الناس عندما تقول له هذه عقيدة السلف؛ يأتيك مباشرة بقول عبد الله بن المبارك، قول الإمام مالك، قول الإمام الشافعي، يقول لك هذا من السلف ويقول كذا

وكذا، كذلك هنا الآن؛ هل نفعل هذا كذلك مع أبي حنيفة رحمه الله، أم كان جهميًّا لا يؤخذ بقوله في مسائل العقيدة؟! هذا الذي يهمنا الآن.

فترجع أنت- كونك طالب علم تريد الحق، ولا تريد أن تقلد أحداً في هذه المسألة- ترجع إلى هذه المراجع الأصلية وتبحث في الأسانيد وتنظر ما صح وما ضعف، وتأخذ بالصواب في هذه المسألة، ومع هذا فالعلماء عندهم حكمة في التعامل مع مثل هذه المسائل، يعني حتى لو رجعت إلى المصادر وترجَّح عندك أن أبا حنيفة مات على العقيدة الجهمية؛ لا تنشر هذا الكلام أمام عامة الناس وتقول لهم: أبو حنيفة كان كذا وتُهاجم؛ هذا غلط؛ لأن كثيراً من عامة الناس صورة أبي حنيفة في نظره أنه إمام كبير، فإذا قلت لهم: كان جهميًّا؛ يتعاظمون هذا الأمر؛ خاصة الذي يعرف معنى الجهمي ومعنى السني... إلخ؛ بل بعضهم ربما يترك حتى عقيدة أهل السنة والجماعة حتى وإن كانت حقاً؛ لأجل التعصب لفلان وعلّان، فلذلك لا تفتنه أنت بهذا؛ لكن تُبيِّنُ له عقيدة أهل السنة والجماعة وتُبين له أئمة السنة وتحثه على اتباع الحق والأخذ بكلام أهل العلم من أهل السنة؛ هذه الحكمة في طريقة التعامل مع الناس في مثل هذه المسائل.

هذا الكلام ليس في أبي حنيفة وحده؛ هذا الكلام في الرجال، عندما تأتي عند شخص يُعظِّم آخر، وأنت تعرف أن هذا الآخر ليس على الجادة؛ فأول ما تُكلِّم هذا الشخص تكلِّمه في السنة؛ تبين له السنة، تبين له التوحيد، تبين له كيف يعرف الحق من الباطل، تبين له أنه يوجد سنة ويوجد بدعة ويوجد كذا؛ إلى أن يستوعب هذا الأمر، بعد ذلك؛ تبين له أحوال الرجال؛ من الذي يأخذ عنه ومن الذي لا يأخذ عنه، وهذه الطرق التي نتحدث عنها

يتعامل بها الكثيرون؛ حتى أهل الباطل عندما يريدون أن يحذروا من صاحب سنة؛ يتعاملون بهذه الطرق.

فأنت تكون حكيمًا في دعوتك وفي طريقة إيصال الحق للناس، التحذير المستعمل اليوم عند كثير من الشباب في المواقع وغيرها؛ أسلوب لا تحصل الغاية المقصودة منه؛ إنما تحصل مفسدة؛ فيأتي عند شخص من عامة الناس لا يعرفه أصلًا ولكنه يعرف شخصًا معظمًا عنده ويظنه إمامًا من أئمة الإسلام، ويأتي ويحذره منه، لا بيان حُجة ولا شيء؛ إنما قال فلان كذا، وربما هو لا يعرف فلانًا أصلًا، ويحذره من أهل البدع، هو لا يعرفك أنت أصلًا، ولا يعرف من استدللت بقوله أصلًا، ولا ذكرت له دليلًا، كيف تريده أن يتبعه؟!، وكيف تريد أن يستفيد من قولك؟! بالعكس هو مباشرة سيحذر منك وممن ذكرته معك، ماذا استفدنا؟ ما استفدنا شيئاً.

استعمال الحكمة في مخاطبة الناس مطلوب قد أُمرت به؛ أُمرت بالدعوة بحكمة، بعلم.

على كل نحن هنا الآن نترك لطالب العلم أن يُحقق هذه المسألة لنفسه إذا احتاج إليها؛ هل ثبت على أبي حنيفة أنه قال بقول الجهمية في مسألة خلق القرآن وغيرها أم لا؟

طبعًا أنا ذكرت لكم طريقة البحث؛ تذهب إلى الكتب التي ذكرت هذه الأشياء وهل ثبت عنه القول بأن القرآن مخلوق؟ وإن ثبت عنه القول بأن القرآن مخلوق وثبت عنه القول بأنه غير مخلوق، فعلامَ مات؟ وما الذي استقرَّ عليه الأمر؟ هذا الأمر تركز عليه.

المأخذ الثاني: القول بالإرجاء؛ وهذا يُقِرُّهُ المؤلف ويذكره، والكثير من الأحناف تجدهم على عقيدة الإرجاء لهذا السبب؛ لأنه قول إمامهم، وهذا ثابت عنه، وهذا الذي يسميه علماء السلف: إرجاء الفقهاء أو مرجئة الفقهاء؛ هؤلاء الفقهاء المقصودون: أهل الرأي.

الأمر الثالث الذي ذكروه في أبي حنيفة من ناحية حديثية لا من ناحية عقائدية: أنه كان ضعيفًا في الحديث.

الأمر الرابع: تقديم الرأي على النص؛ وهذا الأمر الذي ركَّز عليه ابن أبي شيبة في آخر المصنف، وذكروا له بأسانيدهم هناك الكثير من الآراء التي خالفت النصوص الشرعية، والإمام البخاري في "صحيحه" يكثر من الرد على الأحناف في تبويباته، وإن كان لا يُصَرِّح بهم.

لكن هنا أمر: هل كان أبو حنيفة يصله النص الشرعي ويَصِّح عنده ثم يخالفه عمدًا؟

هذا الذي نريد أن نُحققه، البعض يتهمه بهذا؛ يقول: نعم كان يصله النص الصحيح الصريح ويرده إلى الرأي ويأخذ الرأي؛ لذلك ذمه وتكلَّم فيه، والبعض قال: لا هو كان يُخالف النص إذا لم يرده النص أو لم يَصِّح عنده النص، هذه المسألة أنت كطالب علم تحتاج إلى تحريرها لمعرفة الصواب فيها.

المسألة الخامسة التي أخذت عليه: خروجه على السلطان؛ أنه كان يرى السيف؛ أي: أنه كان يرى رأي الخوارج في مسألة الخروج على السلطان؛ وهذا قاله أبو يوسف تلميذه؛ قال: كان يرى السيف، وهذا ثابت عن أبي يوسف، وذكروا أشياء أخرى أُخِذَتْ على أبي حنيفة رحمه الله.

لكن الأشياء التي أقرَّ بها الطحاوي هنا؛ هي مسألة الإرجاء فقط، أما الخروج على السلطان أو أنه يرى السيف- هنا في هذه العقيدة التي نسبها لأبي حنيفة- لا يرى هذا، وكذلك التجَهُّم لا يراه، أما الإرجاء؛ فمقرر.

هذا كطرح؛ طرحنا لكم ما قال العلماء في أبي حنيفة، ولتحرير المسألة؛ ترجعون إلى المصادر، أنتم طلبة علم الآن؛ ترجعون إلى المصادر وتبحثون وتنظرون بأنفسكم، ولكن مع ذلك من ترجَّح عنده ثبوت هذه الأشياء؛ فليكن حكيمًا في مخاطبة الناس ولا يكن فتنة عليهم.

وأما أبو يوسف؛ فهو: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري القاضي، وهذا تلميذ أبي حنيفة ومن أشهر تلاميذه، ولعله أشهرهم، وهو قريب منه وأخذ عنه مباشرة.

ولد سنة ثلاثة عشر ومئة، وتوفي سنة اثنتين وثمانين ومئة هجرية، كان فقيهًا عالمًا، لم يكن متعصبًا رحمه الله، وهو وإن كان على مذهب أبي حنيفة؛ إلا أنه ليس متعصبًا للمذهب الحنفي؛ لذلك له آراء تخالف ما كان عليه أبو حنيفة رحمه الله.

قال الطبري رحمه الله فيه: (تحامى حديثه قوم من أهل الحديث؛ من أجل غلبة الرأي عليه) يعني ما أخذوا عنه الحديث؛ لأنه كان يفتي بالرأي، لأنه كان من أهل الرأي.

قال: (وتفريعه الفروع والمسائل في الأحكام، مع صحبة السلطان، وتقلده القضاء).

إذن هي ثلاثة أشياء، لماذا كانوا يبتعدون عن حديثه؟ لثلاثة أشياء ذكرها:

الأول: من أجل غلبة الرأي عليه؛ يعني يفتي بالرأي؛ القياس وما شابه في المسائل الشرعية.

الأمر الثاني: أنه يدخل على السلطان ويُصاحب السلطان؛ وهذا أمر كان مذمومًا عند السلف رضي الله عنهم.

الأمر الثالث: تقلده القضاء. انتهى؛ هذا ما أُخِذَ عليه.

أما الأولى؛ وهي غلبة الرأي عليه؛ فمتى تُذَم هذه؟

تُذّم إذا قدَّم الرأي على النص، إن ثبت هذا عنه عندئذ يكون هذا مذمومًا، أما إن أفتى بالرأي لحاجته للفتوى ولم يكن عنده كتاب ولا سنة ولا إجماع، ولا خالف في فتواه ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من إجماعهم أو التابعين؛ فهنا لا يُذَم على هذا، الأمر كما قال الإمام الأوزاعي- انتبهوا لقولة الأوزاعي هذه التي قالها في أبي حنيفة-؛ قال: (إنا لا ننقم على أبي حنيفة أنه رأى، كلنا يرى؛ ولكننا ننقم عليه أنه يجيئه الحديث عن النبي ﷺ فيخالفه إلى غيره).

فهنا الأوزاعي يُبَيِّن لك متى يُذّم صاحب الرأي- المفتي بالرأي- ومتى لا يُذَم، قال: (كلُّنا يرى) لكن متى يُذَم؟ إذا قدَّم الرأي على النص؛ إذا جاءه النص؛ وترك النص إلى الرأي، فإن ثبت هذا على أبي يوسف؛ قلنا هذا ذَمٌ له، لكن الظاهر أنه لم يثبت عنه؛ لأن بعض السلف قد ذكروا أنه صاحب سنة، وصاحب السنة لا يفعل هذا.

أما دخوله على السلطان؛ فهذا لا شك أن السلف رضي الله عنهم كانوا يذمون من يفعل ذلك؛ لأن في دخوله على السلطان فتنة على دينه.

والدخول على السلطان كان عند العلماء على نوعين؛ نوع من أجل المداهنة، من أجل نيل الدنيا منهم؛ فيفتن نفسه، ويصاب بالفتنة في دينه؛ فهذا الذي ذمَّه السلف.

ونوع آخر: يدخل على السلطان من أجل مناصحة السلطان ولقول كلمة الحق عنده؛ فهذا ممدوح.

أما تقلد القضاء؛ فربما يكون مذمومًا وربما يكون ممدوحًا أيضًا؛ كيف؟

إذا كان تقلده للقضاء من أجل الدنيا؛ فهذا مذموم، إذا طلبه وأراده وحَرَص عليه مع وجود من يقوم به غيره؛ هذا مذموم، أما إذا وَجَبَ عليه- وقد يَجِبُ القضاء عليه إذا لم يكن هنالك من يَسُد هذا الواجب الكفائي-؛ فهنا يكون ممدوحًا وليس مذمومًا.

وأبو يوسف كان يَذُم علم الكلام ولا يقول بقولهم ولا يقول بالإرجاء، والمؤلف هنا يعزو إليه أنه يقول بالإرجاء؛ مع أن أبا يوسف قد تبرأ من الإرجاء صراحة؛ فلم يكن من المرجئة، ولم يكن يرى السيف وقد تبرأ من هذا؛ بل قالوا: كان صاحب سنة، وقالوا: كان سليما من التجهُم، برؤوه من هذا صراحة.

ولم يذكر المؤلف التجهم هنا عن أبي يوسف، ولكن ذكر الإرجاء؛ ولا يَصِّح هذا عن أبي يوسف؛ فأبو يوسف- صاحب أبي حنيفة يعقوب- كان صاحب سنة، كانت عقيدته سنية، وكان يحب أهل الحديث، قال يحيى بن معين: (كان أبو يوسف القاضي يحب أصحاب الحديث ويميل إليهم).

وأما في الحديث فقد ضعَّفه بعضهم ووثَّقه آخرون.

بعد أن ذكر ابن عبد البر كلام الطبري قال: (كان يحيى بن مَعين يُثني عليه) على أبي يوسف (ويُوَثقه، وأما سائر أهل الحديث؛ فهم كالأعداء لأبي حنيفة وأصحابه) انتهى كلامه.

لماذا كانوا كالأعداء لأبي حنيفة وأصحابه؟ من هم أصحاب أبي الحنيفة؟ هم أهل الرأي.

وكان عند السلف رضي الله عنهم- هذا الكلام في القرون الثلاثة الأولى القرون الفاضلة بعد عهد الصحابة- كان العلماء: منهم أهل حديث، ومنهم أهل رأي.

أهل الحديث هم الذين تمسكوا بالحديث؛ ما هو الحديث؟

كثير منكم يذهب إلى قول الرسول ﷺ: لا؛ الحديث أعم من هذا، أهل الحديث هم أهل القرآن والسنة، أهل القرآن والسنة هم أهل الحديث {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا} [الزمر:٢٣]؛ فالقرآن يسمى حديثًا، كما قال اللالكائي في "شرح أصول أهل السنة والجماعة" في بداية كتابه، لمّا فسر أهل الحديث؛ فسَّره بالقرآن والسنة؛ أهل القرآن والسنة.

أهل الرأي لماذا هم أهل الرأي؟ لأنهم يأخذون بالرأي؛ بالقياس بالعقل؛ يعرفون الأحكام الشرعية بالعقل، ويأخذونها بالعقل، أما أهل الحديث؛ فيأخذونها من الكتاب والسنة، وهذا الفرق بين هؤلاء وهؤلاء.

لماذا كانت بينهم كالعداوة؛ كما قال ابن عبد البر؟

لأنهم ينكرون إنكارًا شديدًا على الذي يترك الأدلة الشرعية ويذهب إلى الرأي، كما ذكرنا عن الأوزاعي، فما ذكره الأوزاعي هو قاعدة؛ متى نستعمل الرأي؟ ومتى يُمدح ومتى يُذم من استعمل الرأي؟

فأهل الحديث كانوا يرون من أهل الرأي توسعًا في استعمال الرأي وردًّا لبعض النصوص من أجل الرأي؛ لذلك كانوا يذمونهم ويحذرون منهم، وكانت بينهم كالعداوة كما قال ابن عبد البر، وحين تقرؤون- إن شاء الله- كتب السلف وكلام السلف؛ يتضح لكم هذا الأمر.

لكن هل جميع أهل الرأي على هذا؟

لا طبعًا، كما ذكرنا لكم أبو يوسف كان صاحب سنة وكان من أهل الرأي- يستعمل الرأي-، ربيعة الرأي شيخ مالك كان صاحب سنة، وكان يستعمل الرأي؛ لكنه ليس على طريقة أولئك الذين يردّون النصوص من أجل الرأي؛ فهنا يُذَم صاحب الرأي.

وأهل الحديث بينهم وبين أهل الرأي كالعداوة كما قال، من أهل الحديث طبعًا الإمام الشافعي والإمام مالك والإمام أحمد وغيرهم من أئمة السلف كثير، كل هؤلاء من أهل الحديث؛ لأنهم كانوا على طريقة أهل الحديث.

كيف تعرف أهل الرأي من أهل الحديث؟

أهل الحديث يبنون أحكامهم على القرآن والسنة وعندهم معرفة بالحديث، أما أهل الرأي ليس لهم اجتهاد واهتمام كثير بأحاديث النبي ﷺ؛ لذلك تجد لهم أقوالاً كثيرة تخالف النصوص الشرعية ويتوسعون في الرأي.

وكما ذكرت لكم ليسوا جميعًا يُذَمُّون، إنما الذي يُذَم هو الذي عُرِف بطريقته من ترك الكتاب والسنة، أو عدم الاعتناء بالسنة ومعرفتها، والاشتغال فقط بالرأي؛ لذلك يقع في مخالفة الكتاب والسنة، وبعضهم كان يتعمد مخالفة السنة؛ هنا يُذَم صاحب الرأي.

هما مدرستان قديمتان بينهما كالعداوة لأجل هذا السبب الذي ذكرنا؛ ما كان أهل الحديث الحمد لله أصحاب هوى، ولا يتكلمون في الناس ولا يُحذرون منهم بالهوى؛ إنما بالأدلة، انظر إلى أبي يوسف صاحب رأي؛ لكن بعض أهل الحديث أثنوا عليه وقالوا صاحب سنة، عندهم إنصاف في الحكم على الرجال.

وكما ذكرنا؛ فأهل الحديث هم أهل الكتاب والسنة، بعض المتأخرين يطلق أهل الحديث ولا يُريد بهم هؤلاء؛ وإنما يُريد المشتغلين بالحديث؛ فتنبه لهذا.

في زماننا المتأخر عَقَد طوائف من أهل البدع اجتماعًا، اجتمعوا في بعض البلاد وخرجوا بقرار بأن أهل السنة والجماعة هم الأشاعرة، والماتُريدية، وأهل الحديث من الأشاعرة- انظر كيف

انتحال الأسماء-، وأخرجوا أهل السنة منهم، الآن السلف سموا نفسهم أهل السنة والجماعة؛ كي يفترقوا عن أهل البدع.

وهنا بالمناسبة أذكر أمرًا مهمًا؛ وهو: يوجد بعض الناس يقول: لا تقل أهل سنة وجماعة وتقول كذا وكذا، نحن مسلمون فقط.

هذا الكلام يا أخي الكريم- لو كنت تعقل- يصِحُّ قبل أن يكون هناك أهل بدع، ويفرقوا جمع هذه الأمة، وقتها كان يكفيك أن تقول أنا مسلم؛ لأن كل المسلمين على عقيدة واحدة وعلى منهج واحد، والحق بيِّن والحمد لله.

لكن بعد أن جاء أهل البدع ببدعهم وفرقوا الأمة ووالوا وعادوا على البدع التي أتوا بها؛ كيف تستطيع بعد ذلك أن تقول أنا مسلم وتسكت؟ كيف تفترق عن هذا الضال الذي يريد تغيير دين الله وأحدث فيه ما ليس منه وأراد إضلال عباد الله، وأحدث فِرقة جديدة؟ والنبي ﷺ قال: "سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي إِلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ".

كيف ستميِّز بين هذه الفِرق وتعرف الحق من الباطل؟ إذا قلت: أنا مسلم، والجهمي يقول: مسلم، والمعتزلة يقول: أنا مسلم، والخارجي يقول: مسلم، والمرجئ يقول: مسلم؛ كيف ستعرف الحق من الباطل؟ وكيف ستفرق أهل الحق عن أهل الباطل، وكلهم يقولون: أنا مسلم؟ ويوالي ويُعادي كل منهم على عقيدته وعلى منهجه الذي هو سائر عليه؛ هذا كلام باطل، هذا كان يسعنا قبل أن توجد هذه الطرق والفِرَق، نعم نقول أنا مسلم وانتهى، ونحن نحب هذا ونريده، لكن خَلِّصنا من هذه الفِرَق والطوائف، واجعلهم يرجعون إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ، ونتفق على أن نرجع لكلمة مسلم وينتهي الأمر.

لكن لمّا صار هناك أهل بدع وأهل ضلال ويُغَيِّرون ويُحرفون في دين الله، ماذا أرادوا؟ أرادوا التمييز، كما قال محمد بن سيرين (كنا نأخذ عن كل أحد، فلما ركب الناس الصعب والذلول؛ قلنا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة؛ فيؤخذ حديثهم، ويُنظر إلى أهل البدع؛ ويُترك حديثهم)، أرأيت! لا بُد من التفريق حتى نعرف عَمَّن نأخذ، ومَنْ نترك؛ هذه الطريقة السابقة.

فلما لاقت كلمة أهل السنة والجماعة قبولًا عند الناس، ونفر الناس عن أهل البدع أراد؛ أهل البدع أن يأخذوا هذه الكلمة لأنفسهم؛ فصاروا يحشرون أنفسهم في أهل السنة بداية، الأشاعرة الآن يقولون أنهم من أهل السنة! من أين لهم من أهل السنة، هم عندما يُقررون عقيدتهم؛ هل يقررونها بالسنة أم يُقررونها بالعقل؟ يُقررونها بالعقل، وهم مُقرون بهذا، فكيف هم من أهل السنة؟!

الصوفي عندما يبتدع في دين الله بدعًا كالرقص والشرك وعبادة الأوثان وغير ذلك من البدع والخرافات؛ هل قرر ذلك بالكتاب والسنة أم يقرره بعقله وبهواه؟ كيف نسمي هذا أهل السنة؟ وهم يسمونه أهل سنة!

ثم أخذوا الاسم لأنفسهم؛ فقالوا: نحن أهل السنة والجماعة، وأخرجوا أهل السنة من أهل السنة والجماعة؛ هكذا قرروا في مؤتمرهم؛ أخرجوا أهل السنة من أهل السنة والجماعة، فقسموا أهل الحديث إلى قسمين؛ قالوا: أهل الحديث: منهم من هم مِن أهل السنة ومنهم من ليس من أهل السنة.

من هم من أهل السنة؟

أهل الحديث الذين يعنونهم: هم الأشاعرة وغيرهم ممن اشتغل بالحديث، ويعنون بأهل الحديث الذين اشتغلوا بالحديث.

أهل الحديث ليسوا الذين اشتغلوا بالحديث؛ بل أهل الحديث هم الذين اتبعوا الحديث، اتبعوا الكتاب والسنة؛ حتى لو لم يشتغل بالحديث تصحيحًا وتضعيفًا.

الإمام الشافعي رأس من رؤوس أهل الحديث وكان أكثر تخصصه في الفقه، ومع ذلك هو إمام عند أهل الحديث، وغيره كثير مَنْ هو مِنْ أهل الحديث هو الذي يحمل عقيدة أهل الحديث أهل السنة والجماعة، يحمل عقيدة السلف الصالح رضي الله عنهم ومنهجهم؛ هذا هو الذي يكون من أهل الحديث.

هم قالوا: أهل الحديث ينقسمون إلى قسمين؛ فأخرجوا أهل الحديث الحقيقيين من أهل السنة والجماعة، وأدخلوا فقط من اشتغل بالحديث من الأشاعرة والصوفية وغيرهم، وهذا باطل كله، وهذه كلها دعاوى والدعوى سهلة، كل واحد يستطيع أن يَدَّعي ما يشاء لكن الحكم لمن؟ الحكم للأدلة، هذه أدلة الكتاب والسنة وكتب السلف الصالح رضي الله عنهم، وأهل السنة والجماعة الذين كانوا في السابق والذين قرروا العقيدة وقرروا المنهج، نعرض منهجنا وعقيدتنا على ذاك، واعرضوا أنتم عقيدتكم ومنهجكم عليه ثم نحتكم.

ما رأيكم؟ ما عندكم شيء.

هذا ما أردنا أن نذكره في درسنا اليوم، بقي آخر شيء ننبه عليه قبل أن ننتهي، فقد نسينا أن نذكر محمد بن الحسن.

محمد بن الحسن هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني مولاه الكوفي صاحب أبي حنيفة، ولد بواسط ونشأ بالكوفة، أخذ الفقه عن أبي حنيفة وأبي يوسف القاضي، روى عن أبي حنيفة ومِسعر ومالك بن مغول والأوزاعي ومالك بن أنس، روى عنه الشافعي وأبو عُبيد وغيرهما، ولد سنة مئة واثنتين وثلاثين، وتوفي سنة مئة وتسع وسبعين، أثنى عليه العلماء في الفقه والذكاء، قالوا: كان فقيهًا وكان ذكيًا، أما في العقيدة؛ فقال غير واحد: كان جهميًّا يقول بخلق القرآن، وكذلك يقول بالإرجاء، وضعفوه في الحديث وكذبه بعضهم.

هذا ما قيل فيهم في العقيدة وغيرها، ومن أراد التوسع؛ يقرأ ترجمتهم في تاريخ بغداد، وأيضًا في كتاب عبد الله بن الإمام أحمد في السنة، وفي غيره من الكتب في التراجم.

وكما ذكرنا نفى بعضهم عنهم بعض ما قيل فيهم. والله أعلم.

ثم قال المؤلف في النهاية: **(وما يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ وَيَدِينُونَ بِهِ رَبَّ العالمين)** يعنون بقولهم (أصول الدين) العقيدة؛ فيقسم بعض العلماء الدين إلى أصول وفروع؛ فيجعلون أصول الدين هي العقيدة، والفروع هي الأحكام الفقهية.

هذا ما أردنا أن نذكره في درسنا اليوم، ونكتفي اليوم بهذا القدر والحمد لله.